أثر التراث في تكوين شخصية الشاعر بدر شاكر السياب الفكرية

المؤلف الاول: طالب دكتوراه
م.م علي محمد حسين البوشمينه
قسم اللغة العربية وآدابها– كلية الاداب والعلوم الانسانية– جامعة فردوسي مشهد مشهد–إيران
alkhaldyali9@gmail.com

المؤلف الثاني : أستاذ مساعد الدكتور بلاسم محسني
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الاداب والعلوم الانسانية د.علي شريعتي ، جامعة فردوسي– مشهد /مشهد/إيران. (المؤلف المسؤول)
Mohseni@um.ac.ir

المؤلف الثالث:أستاذ مشارك – الدكتور عباس عرب
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الاداب والعلوم الانسانية د.علي شريعتي ، جامعة فردوسي– مشهد /مشهد/إيران

الكلمات المفتاحية: أثر ، التراث ، شعر، السياب ، الفكري.

كيفية اقتباس البحث
البوشمينه ، علي محمد حسين، بلاسم محسني، عباس عرب، أثر التراث في تكوين شخصية الشاعر بدر شاكر السياب الفكرية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٣ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The impact of heritage on the formation of the intellectual personality of the poet Badr Shaker Al-Sayyab

The first author: PhD student - Ali Muhammad Hussein Al-Bushminah
Arabic Language and Literature Branch - Faculty of Arts and Humanities - Ferdowsi University of Mashhad - Mashhad – Iran

Second author: Assistant Professor Dr. Balasem Mohseni Department of Arabic Language and Letters - College of Arts and Humanities Dr. Ali Shariati, Ferdowsi University - Mashhad / Mashhad / Iran. (Responsible author)

Third author: Associate Professor Dr. Abbas Arab
Department of Arabic Language and Letters - College of Arts and Humanities Dr. Ali Shariati, Ferdowsi University - Mashhad / Mashhad / Iran.

Keywords : impact, heritage, poetry, Al-Sayyab, Al-Fikri.

How To Cite This Article
Al-Bushminah, Ali Muhammad Hussein , Balasem Mohseni , Abbas Arab , The impact of heritage on the formation of the intellectual personality of the poet Badr Shaker Al-Sayyab, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2025,Volume:15,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The heritage is important in the language of the poet, it is a wealth that does not end and is not a hobby, so the poet is not able to get nonsense, and it is not possible to write without a recovery, it is a basic nucleus in which he gives birth to his art and is established until he is in

his climax, The contemporary Arab poet realized the value of the heritage as a fertile astrologer rich in various experiences And human values, so he began flipping through its pages and searching within its folds for those living experiences and renewed positions that, in his view, are suitable for expressing his crisis reality. Then he formulated all of this according to a contemporary modernist vision that links the present with the past and looks from it toward the future, thus adding to his poetry the character of fertility, comprehensiveness, and rootedness .

Badr Shasar Al -Sayyib is one of that, which was illuminated by the path of the Arab scene. What is magical in all its dimensions, and what is being pulled in the dilemma of the Saby, those heritage symbols, the hall It is a artistic community, as it adds to the narrator, a prostitute and the reader, and motivates it to researcher and know on the one hand, and on the other hand, with its consideration is one of the tools that the poets used with the root transformation that touched the Arab narrative.

الملخص

إن للتراث أهمية بالغة للشاعر فهو ثـــروة لا تنتهي وكنز لا يفنى فلا يستطيع الشاعر الاستغناء عنه ولا يمكن أن يكتب دون الرجوع إليه، إنه نواة أساسية يولد فيه فنه وينشأ حتى يصل إلى ذروته، لقد ادرك الشاعر العربي المعاصر قيمة التراث باعتباره منجما خصبا غنيا بمختلف التجارب والقيم الانسانية، فراح يقلب صفحاته ويبحث بين طياته عن تلك التجارب الحية والمواقف المتجددة، التي تصلح في نظره للتعبير عن واقعه المأزوم، ثم صاغ كل ذلك وفق رؤية حداثية معاصرة، تربط الحاضر بالماضي وتتطلع منه نحو المستقبل، مضيفا بذلك على شعره طابع الخصوبة والشمولية والتجذر.

يعد بدر شاكر السياب تلك الشمعة التي أنارت بشعلتها درب الساحة العربية مستحدثة أنساق جديدة في الشعر والتعبير عن حياته بمرها وحلوها بلغة يكتنفها الغموض والتلبس ، إذ تكسب القصيدة عالما سحريا جماليا في كل أبعادها ، وما يشد انتباهنا في قصائد السياب تلك الرموز التراثيـــــــة الحافلة بالدلالات وما تحمله من متعة فنية حيث تضفي على القصيدة رونقا وجمالا تشوق القارئ وتحفزه على البحث والمعرفة من جهة ، ومن جهة أخرى باعتبارها إحدى الأدوات التي وظفها الشعراء مع التحول الجذري الذي مس القصيدة العربية.

المقدمة

يعد التراث ذاكرة الشعوب بشكل عام ، وبدونه تكون الأمة أشبه بأشجار بلا ماء، فهي نافذة للمعالم التي بها تهتدي في مسارها الحضاري، وكلما كانت الأمة عريقة كان تراثها المتراكم كبيرا وعميقا، ولما كان التراث هو خلاصة وعصارة الأمم فكان بحق مادة وأداة مهمة للأدباء عامة والشعراء خاصة في ابداعاتهم الفنية ولهذا استخدم لغايات كثيرة في أشعارهم ، كان توظيف التراث عند الشعراء العرب القدامى محصورا في الثقافة العربية الإسلامية مستمدين منها ما يسد حاجاتهم وغايتهم الفنية، ولكن مع بزوغ العصر الحديث وبعد انقضاء مرحلة الانحطاط ومع تسرب الثقافة الغربية إلى جسد الأمة العربية توسعت دائرة التراث ليشمل فضاءات جديدة ، فإشتغل الشعراء المعاصرون خاصة الذين نهجوا منهج القصيدة الجديدة هذه الروافد الوافدة من الغرب أيما استغلال، كما يعتبر التراث هوية الأمة وشخصيتها القومية والحضارية، والعودة إلى التراث، عودة إلى المنابع البكر للحضارة البشرية، لذلك شكل التراث أهمية بالغة في الأدب العربي، فأخذ الأدباء ينهلون منه لتأكيد نوازعهم النفسية والقومية والوجدانية ومواقفهم الفكرية، ولم يقتصر الأدباء في توظيفهم للتراث على تراث أمة دون غيرها؛ لأن التراث منجز حضاري للإنسانية جمعاء، ومن هنا جاء اتساع حقل التراث، سطر السياب خارطة في صفحات الشعر العربي الحديث، وهو من أهم الشعراء الذين حددوا معالم الشعر الحر في منتصف القرن الماضي، وقد احتل التراث مساحة واسعة من شعره، وغدا حقلا خصبا للدراسة، ووسيلة فنية ذات أبعاد دلالية متعددة، وقد تمثل دور هذه الدراسة في احتوائها على أهم المعالم التراثية التي برزت في شعر السياب، إذ تحاول استجلاء معالم التراث، وتجيب عن مجموعة من الأسئلة التي تثير قضايا التطور والأصالة في شعر السياب، و من هنا نظر السؤال ما هو التراث وكيف تم توظيفه في شعر بدر شاكر السياب.

تناولت هذه الدراسة معرفة اثر التراث على شعر السياب وتوظيفه اهم منابع التراث التي اثرت على فكر السياب ومنها الشخصيات الدينية والتأريخية في شعره والرموز الاسطورية في شعره.

تعريف التراث لغةً واصطلاحاً:

أ- لغة:

يذكر الفيروز آبادي في قاموس المحيط [1]على هذا النحو : ويرث اباه ومنه بكسر الراء، يرثه ليعده ورثا ورانه وارثا ورثة، بكسر الكل واورثه ابوه ورثه جعل من وريثه، والوارث الباقي بعد فناء الخلق، وفي الدعاء أمتعني بسمعي وبصري واجعله الوارث مني، اي ابقه معي حتى اموت ، وتوريث النار تحريكها لتشتعل.

كما ذكر في القرآن الكريم[٢] قوله في سورة النمل الآية١٦ : (و ورث سليمان)، و كذلك في سورة الفجر الآية ١٩ :(وتأكلون التراث اكلا لما) ، سورة النساء : (و إن كان رجل يورث)، و في قوله في سورة الانبياء على لسان زكريا : (تذرني فردا وانت خير الوارثين).

ب-اصطلاحاً:

يعد التراث بمثابة وعاء كبير يحمل ثقافة لا تعد ولا تحصى عن الشعوب و الحضارات اذ يعبر عن حياتها في كافة المجالات و يتطرق الى الحديث عن واقعها بأحزانه ، التراث هو كل ما وصل الينا داخل الحضارة و افراحه حيث نجد حسن حنفي يعرفه قائلا : السائدة فهو اذن قضية موروث في نفس الوقت قضية معطى حاضر على عدة مستويات[٣] فمن خلال هذا التعريف يتبين لنا ان التراث ينحصر الى الكم الهائل من المخلفات التي تركها الاجداد والآباء للأبناء على مر الدهور ، كما يقتصر على الطابع النفساني الذي يعبر عن الذات النفسية للمجتمع ، كما يضيف سيد علي اسماعيل قائلا ان التراث مستمر معنا الى الان بصورة او بأخرى ، و غالبا ما يختلف من زمن لآخر ، فالتراث يتشكل في كل فترة زمنية عن الاخرى و نظرة الانسان اليه تختلف و وجهات النظر تتفاعل بالأخذ و العطاء[٤]مما سلف ذكره في هذا التعريف ان التراث جوهر نفيس خالص لا يخضع لقانون التغيير ولا ينحرف عن طريقه مهما مرت العصور والأزمان و لما يتدخل الانسان يبدي آرائه الخاصة و يظهر زوايا نظره من هنا يظهر الاختلاف.

المبحث الاول

توظيف الشخصيات الدينية والتاريخية في شعر بدر شاكر السياب

يعد التراث الديني والتأريخي في كل الصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا أدبية، فالأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني، ولقد كان الكتاب المقدس مصدراً للشعراء الأوربيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات والنماذج الأدبية، وقد فتن الرومانتيكيون بشكل خاص بهذه الشخصيات الدينية المتمردة المطرودة ، شخصية «قابيل» القاتل الأول – وقد رفعوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرد على كل ما هو عادي وكل ما هو مقرر ومفروض، وعبروا عن تعاطفهم الكبير مع ماعانته هذه الشخصيات من عذاب ولعنة من جراء تمردها .

وإذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي الذي استمد منه الأدباء الأوربيون شخصياتهم ونماذجهم الدينية، فإن عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية، وفي مقدمتها

القرآن الكريم، واستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة .

١- شخصية المسيح

يوظف السياب شخصية المسيح في قصيدته المسيح بعد الصلب ، حيث يحتل رمز المسيح مكانة كبيرة في الشعر العربي الحديث، وراح الشعراء يعلقون همومهم وقضاياهم الذاتية والموضوعية في عنق هذه الشخصية التي حملت معاني الفداء والتضحية، لذلك أسقط الشعراء معظم دلالاتهم الفنية على هذا الجانب، ويعمد السياب إلى استلهام رموز السيد المسيح المتعلقة بالفداء والتضحية والآلام التي كانت تشكل صدى لما يعانيه السياب من مرض وفقر وتشرد وغربة، وظلم اجتماعي، إذ تتسع دلالة هذا الرمز لغناها بالدلالات التي تتلاءم والكثير من جوانب تجربة الشاعر [٥].

ويتسع الرمز الديني للتعبير عن معاناة الظلم الاجتماعي والسياسي الذي عانه السياب ولحق بأهله ووطنه من خلال الأبعاد الرمزية التي تجدد معاناة المسيخ وفق المفاهيم الدينية المسيحية في اطار محنة الصلب، ولم يتعامل السياب مع هذه الشخصية وفقا لطموحاته في البحث عن صيغ جديدة، بل كان تعاملا يفرضه واقع مأساوي من الناحية السياسية والاجتماعية، وقد نجح السياب في استدعاء حادثة الصلب في غير موضوع من قصائده، ففي قصيدة المسيح بعد الصلب، يقول السياب :

بعدما انزلوني سمعت الرياح
في نواح طويل تسف النخيل
و الخطى و هي تنأى إذن فالجراح
و الصليب الذي سمروني عليه طوال الأصيل
لم تمتني و أنصت كان العويل
يعبر السهل بيني و بين المدينة
مثل حبل يشد السفينة
و هي تهوي إلى القاع [٦]

اتحد السياب بالمسيح اتحادا روحيا في المعاناة والتجربة من خلال مونولوج درامي جنائزي حزين وبعد أن أنزلوا المسيح عن صليبه، لكنه ما يزال يعي ويحس وهو يعي بشكل خاص حزن مدينته وبكاءها عليه وهذا ما يمنحه إحساسا بالعزاء وبأن تضحيته قد بدت تؤتي أكلها فإحساس أمته به وبتضحيته بداية بعثها الذي ضحى به من أجله الذي لم يمت به ، و

تنطبق المعادلة التي تقع بين تجربة الشاعر ورؤيته، وتجربة الصلب بالنسبة للسيد المسيح الذي تمنعه من التضحية من أجل الآخرين وما واجهه من عذاب فرضته السلطة، ولم يقف عائقا أما مناضلته من أجل الآخرين لذلك يدافع عن الفقراء، يتكلم نيابة عنهم راسما ملامح الحياة الآخرة[٧].

والسياب وما يشعر به من آلام ذاتية تتحول إلى تتحول إلى شعور بالمعاناة الإنسانية في طابعها المأساوي منتظرا حدث التخطي والارتقاء، فيتوغل السياب في الظاهرة الروحية التي تكتفي براحة النفس والتخلص من الظلم الاجتماعي الذي تفرضه تناقضات المجتمع والمدينة ويقدم السياب نفسه رمزا للفداء والتضحية وهذا هو رمز المسيحية الجوهري:

مت كي يؤكل الخبز باسمي لكني يزرعوني مع الموسم

كم حياة سأحيا ففي كل حفرة

صرت مستقبلا صرت بذرة

ذرت جيلا من الناس في كل قلب دمي

قطرة منه أو بعض قطرة [٨]

وهكذا يكون موت الشاعر السياب بذرة النضال والكفاح وصولا إلى الهدف المنشود في محاولة التعبير، وهكذا فإن المسيح قد بعث من جديد بعد صلبه بعث بعد موته بعث في كل مظاهر التجديد والحياة والخصب والازدهار في بلده ويستلهم السياب رمزية المسيح عبر نسيج القصيدة لتحمل المضمون الايديولوجي لرؤيته وموقفه من الحياة، ويظهر عبر ذلك الألم المتجدد والمتكرر، و انهدام القيم الروحية والأخلاقية في اطار الغربة والتشرد[٩]:

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت تربتك الحبيبة

من وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه [١٠]

حالة من الغربة النفسية تسيطر على السياب ويتحد بذلك مع السيد المسيح الذي اشتد عذابه فلا الموت يخلصه من شدة عذابه والمه ولا حياة تجلب السعادة والهناء، وتظهر قوة العلاقة التي تربط بين (السياب المسيح) بقوله: فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه والسياب يعيش في غربة وتشرد ويؤمن إيمانا عميقا بالتضحية من أجل هذا التوحد رمزية السيد المسيح، ويؤدي ذلك إلى بناء صورة متماسكة في الموقف الداخلي النفسي والفكري بين السياب والمسيح:

الأرض يا قفصا من الدم و الأظافر و الحديد

حيث المسيح يظل ليس يموت أو يحيا كظل

كيد بلا عصب كهيكل ميت كضحى الجليد

النور والظلماء فيه متاهتان بلا حدود(١١)

وهكذا استطاع أن يغني ديوانه الشعري بالرموز المختلفة لشخصية المسيح وأن يلتحم مع رمزيته في المعاناة والألم والتضحية والفداء وهي الجوانب البارزة في شخصية السيد المسيح عليه السلام. .

٢- شخصية أيوب (عليه السلام)

يوظف السياب شخصية أيوب في قصيدته سفر أيوب ، حيث يستلهم السياب من التراث الديني شخصية أيوب عليه السلام والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ** ﴾(١٢) وتمثل شخصية أيوب في الشعر العربي الحديث رمزا للصبر على البلاء والإيمان في المحن والرضا التام بقضاء الله وقدره وقد شاع ذلك في شعر السياب وتتشابة تجربة السياب مع الحياة وما رافقها من مرض وفقر وغربة وتشرد مع أيوب عليه السلام الذي صبر على المرض والفقر مدة طويلة من الزمن، وبعد أن عرف عن أيوب أنه كان كثير المال من سائر أصنافه وأنواعه وكان له أولاد

وأهلون ولكنه سلب منه كل ذلك، وأصيب في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله فيهما وهو في ذلك صابر محتسب(١٣).

وقد اشتد المرض على أيوب وعافه الناس وأخرج من بلده وابتعد عنه الناس ومع ذلك فلم يزدد أيوب إلا صبرا وحمدا وشكرا ويكرر السياب هذه التجربة:

شهور طوال وهذي الجراح

تمزق جنبي مثل المدى

ولا يهدأ الداء عند الصباح

ولا يمسح اللّيل أو جاعه بالردى(١٤)

إنه أيوب الذي عانى من المرض والفقر وهو في زهرة شبابه، ولم يصب باليأس من قدرة الله سبحانه وتعالى على شفائه ، والسياب يتشبه بشخصية أيوب بما تحمل من معاناة وألم، ويسيطر النغم الديني على شعرهو ذلك بتوجهه إلى الله في تضرع ورجاء ومؤمنا بقضاء الله وقدره، ويظل صابرا كما فعل أيوب إذ جعل من المصائب وشدة الألم نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، يقول السياب :

ولكن أيوب إن صاح صاح

لك الحمد، ان الرزايا ندى

وإن الجراح هدايا الحبيب

أضم إلى الصدر باقاتها .

هداياك في خافقي لا تغيب

هداياك مقبولة. هاتها[١٥]

وهذا يظهر مدى الإيمان العميق الذي تحلى به أيوب السياب بالرغم من شدة المرض والألم، فقد آمن السياب واستسلم للقدر وخضع لإرادة الله كما فعل ايوب بأن كل ما يملكه هو هبة من الله يسترده الله متى يشاء، لذلك يقول السياب:

لك الحمد مهما استطال البلاء

ومهما استبد الألم،

لك الحمد، إن الرزايا عطاء

وان المصيبات بعض الكرم

ألم تعطني أنت هذا الظلام

وأعطيتني أنت هذا السحر؟

فهل تشكر الأرض قطر المطر

وتغضب إن لم يجدها الغمام؟[١٦]

٣-النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

أن من اكثر الشخصيات شيوعاً في التراث العربي هي شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، حيث يستحضر السياب شخصية النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) ويقف من خلالها على ألوان من العذاب والفداء والتضحية، وأكثر الدلالات شيوعا هي توظيفها رمزا شاملا للإنسان العربي في انتصار أو عذاب ، والسياب إذ يستدعي الموروث الديني والتاريخي من أجل إلقاء الضوء على العلاقات المادية التي تسود المجتمع، والتحدي الحضاري والثقافي وربط حاضر الأمة وما تعانيه من أحوال بماضيها العريق[١٧]، يقول السياب في قصيدة جميلة بوحيرد وهي مقاومة جزائرية من المناضلات اللاتي ساهمن بشكل مباشر في الثورة الجزائرية أثناء الاستعمار الفرنسي في أواخر القرن العشرين، حيث يقول السياب:

بالأمس دوى في ثرى يثرب

صوت قوي من فقير نبي

الوى ببغي الصخر لم يضرب

و حطم التيجان أي انطلاق

في مصر في سورية في العراق

في أرضك الخضراء كان انعتاق [١٨]

يظهر مدى اثر التراث على اسلوب السياب في قصيدته بشكل واضح وهو يحث الإنسان العربي المعاصر على القتال دفاعا عن الكرامة والأرض وإعادة الحقوق المسلوبة بالقوة، وأن لا يركن إلى القدر في تحقيق هذه الغاية، ويلتقي بذلك مع موقف الرسول عليه السلام الذي قاتل فاعا عن المبادئ والعقيدة التي آمن بها طريقا إلى تحطيم العروش وإزالة الدول، وكأنه يطلب بذلك من الأمة العربية في عصرها الحاضر أن تسير في الطريق ذاته في إعادة حقوقها، وتحمل هذه الصورة معنى رمزيا هو الاستشهاد دفاعا عن الأرض والكرامة، إن استعانة السياب بالموروث الديني يسهم في تطوير الحدث واكتماله، ففي قصيدة (في المغرب العربي) يستمد السياب أغلب صوره من التاريخ الإسلامي إذ يصور من خلال شخصية النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) انطفا مجد الإنسان العربي ويقينه من ازدهار ذلك المجد من جديد، حيث يصور ظل الإنسان العربي المعاصر بصورة مئذنة [١٩]،يقول السياب :

و كان محمد نقشا على آجرة خضراء

يزهو في أعاليها

فأمشي تأكل الغبراء

و النيران من . معناه

و يركله الغزاة بلا حذاء

بلا قدم[٢٠]

ان الاثر الرمزي يتشكل في هذه القصيدة أبعاداً واضحة الدلالة فالإنسان العربي استطاع أن ينتصر على قوى الظلم والشر والفساد وأن يقيم علاقات تدل على قوته وقوة حضارته واصالتها، ولكن الآن في العصر الحديث أصبح ضعيفا ممزقا غير قادر على حماية نفسه وأمته وتراثه؛ فالأعداء الذين انتصر عليهم بالأمس ينتصرون عليه اليوم ويثأرون لأنفسهم من ذلك التراث العريق، والسياب يستدعى الدلالة التراثية ويوظفها للايجاء إلى موضوعات معاصرة، وأحيانا يضفي على الموروث دلالة مناقضة له، مما يولد شعورا حادا بالمفارقة الدرامية بين ماضي الأمة وحاضرها فالرموز التي يبثها السياب في قصيدته مثل الصخرة والمئذنة والكعبة تثير في المتلقي الإحساس بالفخر والاعتزاز والألم والتوجع في الوقت ذاته، وهذا الماضي العريق مصدر الاعتزاز لم يستمر، ولم تعد قادرة على فعل أي شيء، إلا إذا عادت إلى دلالتها المعنوية، وهذا ما يتفائل به السياب قائلا:

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٣

قرأت اسمي على صخرة

وبين اسمين في الصحراء

تنفس عالم الأحياء

كما يجري دم الأعراق بين النبض والنبض

ومن أجرة حمراء ماثلة على حفرة

أضاء ملامح الأرض

بلا ومض

دم فيها فسماها[٢١]

ويعبر السياب من خلال هذا المقطع عن حالة التواصل بين حاضر الأمة وتراثها التاريخي، والثورة في المغرب العربي هو ذلك الأمل الذي يشير إليه السياب ويعده حالة تواصل بين ماض عظيم وحاضر لأمة عربية.

٤- يأجوج ومأجوج

في قصيدته المومس العمياء نجد السياب يوظف قصة يأجوج ومأجوج ، وعندما يتأمل السياب ذلك فإنه يتأمل السور الوهمي الذي يفصل بين بائعات الهوى رخيصات الشرف وبين السكارى الزناة، وهذا ما يدعوه إلى استدعاء قصة يأجوج ومأجوج وسورهما الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وما تضيفه الأساطير الشعبية على هذه القصة حيث يقدمه السياب من خلال التداعي القصصي الذي يمنحنه قدرة التواصل في عملية الخلق الشعري فيخرج بالقصيدة إلى تشكيل جمالي يتداخل فيها القص الأسطوري بالواقع تداخلا فنيا يوحي بتشابه سور البغايا وسور يأجوج ومأجوج بكونهما لا يثوران إلا بولادة الفعل الخلاق ،ويذكر السياب أن الذين اغتصبوا المومس العمياء قوم لا يشبهون البشر[٢٢]، متعطشون للدماء والفساد:

ليس الذين تغصبوها من سلالة هؤلاء

كانوا مقطبة الجباه من الصخور

تمتص من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء[٢٣]

وتضيف الأساطير الشعبية أن يأجوج ومأجوج يلحسان السور بلسانيهما كل يوم حتى يصبح في رقة قشرة البصل ويدركهما التعب فيقولان: غدًا سنتم العمل وفي الغد يجدان السور على عهده من القوة والمتانة ويأتي توظيف هذه القصة في قول السياب:

هي والبغايا خلف سور، والسكارى خلف سور،

دميت أصابعهن تحفر والحجارة لا تلين

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2025 Volume :15 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

والسور يمضغهن ثم يقينهن ركام طين:

وطلول مقبرة تضم رفات هابيل" الجنين

سور كهذان حدثوها عنه في قصص الطفوله

يأجوج يغرز فيه، من حنق أظافره الطويله[٢٤]

ويظل السور قائما بين هولاء ويأجوج ومأجوج مهما عملا ولن يتخطيا السور إلا بعد أن يولد لهما طفل يسميانه إن شاء الله وهو الذي يحطم السور، يقول السياب :

ولكن (إن شاء الله)

طفلا كذلك سميناه

سيهب ذات ضحى ويقلع ذلك السور الكبير[٢٥]

ويقع السياب في خطأ في ذلك، فقد جاء في القرآن الكريم أن السور ينهدم قرب قيام الساعة بإذن الله تعالى، قال تعالى :﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّ جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾ سورة الكهف، وجملة القول أن السياب حاول أن يلامس المأساة الإنسانية وجرحها الدامي، من خلال المومس وتفكيرها بواقعها بأن السور الأبدي الذي يفصلها عن الرجل ولا تفلح في إرادته.

٥- شخصية العازر

تعد شخصية العازر من الشخصيات التي حظيت بلون من القداسة، والعازر هو الشخص الذي أحياه المسيح بعد موته استجابة لطلب أخته مريم ومرثا، وقد شاع استخدام هذه الشخصية على السنة الشعراء كرمز للبعث بعد الموت، وهذا هو المدلول العام لاستدعاء هذه الشخصية، ويستدعي السياب شخصية العازر ليصور من خلالها أن البعث الذي تم على يد عبدالكريم قاسم كان بعثا كاذبا وأن الخير المرجو من ثورته لم يأت بالثمار المرجوة بل على العكس من ذلك؛ فالموت الذي كان يطرق على أبواب بغداد في ظل النظام الملكي أفضل بكثير من تلك الأحوال التي آلت إليه في ظل حكم عبدالكريم قاسم، فالعازر في رؤية السياب هو الإنسان العراقي المفجوع الذي واكب مرحلة الثورة، وأصبح يتمنى أنه لم يبعث لأن بعثه لم يأت له إلا بالجوع والعطش والظلم والقهر[٢٦]، يقول السياب:

من أيقظ العازر من رقاده الطويل

ليعرف الصباح و الأصيل

و الصيف والشتاء

لكي يجوع أو يحس جمرة الصدى

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٣

و يحذر الردى

و يحسب الدقائق الثقال و السراع[٢٧]

فإذا كانت عودة العازر إلى الحياة تمثل البعث والنماء والخصب فإن السياب قد عكس المدلول ليظهر عظم الفاجعة فكل ينابيع الخير قد جفت في ظل حكم عبد الكريم قاسم ويظهر عظم الفاجعة من خلال استدعاء شخصية العازر التي تمثل البعث بعد الموت ففي ظل ذلك تستحيل ينابيع الخير والعطاء وهذه المفارقة في استخدام شخصية العازر، ويؤكد السياب أن ثورة عبد الكريم قاسم قد جاءت تحمل معها العقم والموت والدمار وأن المسيح الذي جاء ليحي العازر قد مات قلبه فالحلم الذي كان يحلم به الناس في العراق في تفجير ينابيع الخير والعطاء آمال الثورة، كان مجرد حلم لم يسفر إلا عن انطلاق قوى الشر والطغيان والدمار:

من الذي أطلق من عقالها الذئاب

من الذي سقى من السراب

و خبأ الوباء في المطر

الموت في البيوت يولد

و يهلك المسيح قبل العازر[٢٨]

وهكذا استطاع السياب من خلال توظيفه لشخصية العازر التراثية أن يظهر البطش والطغيان الذي ارتكبه قاسم واتباعه في حق ،العراق، وقد تميز السياب في توظيفه لهذه الشخصية بالذكاء والحنكة، فقد استطاع أن يختبئ عن أعين السلطة، وأن يفصح في الوقت نفسه عن همومة ومضمونه الفكري ورؤيته العصرية للواقع الذي يعيشه، وتوظيف هذه الشخصية كان له دور بارز في النص الشعري، فلو اسقطنا هذه الشخصية لفقد النص قيمته ومدلوله الفني والأدبي وهذا ما يؤكد أهمية استدعاء الشخصية التراثية في النص الشعري ودورها الفني في اختفاء المعنى والدلالة للنص الشعري.

٦- عنترة بن شداد

يوظف السياب بعض ملامح السير الشعبية، فعنترة بن شداد واحد من هذه الشخصيات التي تم توظيفها في النسيج الشعري السيابي، وهي من الشخصيات المحببة والتي تتردد كثيرا على السنة الشعراء والأدباء، يجمع السياب مابين عنترة وعبلة وهو جمع مألوف لطبيعة العلاقة التي تربط عنترة بعبلة فهما شريكان في الدلالة والرمز، فعنترة الفارس الأسود الذي يناضل من أجل محبوبته عبلة فيحطم القيود المتمثلة بالطبيقية الأحرار والعبيد وللوصول إلى هذا الهدف يحتاج إلى ركوب الأخطار وتحدي الصعاب وأما عبلة فتظهر في صورة المرأة التي لا تقبل إلا بهذا الفارس، فعنترة

/ الرمز يجوب الصحراء يبحث عن شيء يحبه، قريب إلى قلبه وليس له محبوبة إلا عبلة، يقول السياب في قصيدة إرم ذات العماد:

با وقع حوافر على الدروب

في عالم النعاس ذاك عنتر يجوب

دجى الصحاري ان حي عبلة المزار[٢٩]

إن بحث عنترة عن محبوبته يماثل بحث السياب عن الأمل / الحلم المدينة الغائبة إرم ذات العماد وهكذا يحقق السياب تداخلا بين إرم ورمز آخر هو عنترة، وهو هنا رمز جزئي يحقق مدلولا مرتبطا بالرمز الأصلي، وهذا المدلول هو صورة الباحث (عنترة) الذي يجوب الصحاري ويقف على أسور من يحب عبلة فيصبح النص رمزا مركبا، عنترة الباحث عن عبلة، والشاعر المعاصر الباحث عن إرم المنتظر ظهورها من خفاء طويل ، وعندما يوحد السياب بين الوطن والحبيبة يصور قصة عنترة عندما كانت تروى حول التنور[٣٠].

ويستعيد السياب من خلال استدعاء عنترة بن شداد وعبلة وحكايتهما التي كانت تروى حول التنور، ويستذكر السياب هذه القصص عندما كان العراق وما تقصه العجائز في ذلك الوقت، يستذكر ذلك وهو بعيد عن وطنه في روما يعاني الألم والغربة والحنين إلى الوطن، ولعل ذلك يماثل حنين عنترة لمحبوبته:

سأعود فأقطع سلّمنا وثبا

لأضمك يا أبد الشوق

يانور المرفأ يهدي القلب إذا تاها

ياقصة عنتر إذ تروى حول التنور فأحياها

سأحس عبيرك في نفسي

ينثال و يقرع كالجرس[٣١].

المبحث الثاني

توظيف الرموز الأسطورية في إبداع السياب الشعري

يعرف هذا المصدر أوثق مصادر تراثنا ، والتراث الإنساني عموما وصلة بالتجربة الشعرية، فالأسطورة هي الصورة الأولى للشعر ،لقد أجمع نقاد الشعر وعلماء الأساطير كلاهما على أن الشعر فى نشأته كان متصلا بالأسطورة، لا باعتبارها قصة خرافية مسلية، وإنما

باعتبارها تفسيراً للطبيعة وللتاريخ، وللروح وأسرارها، ومعنى تفسيرنا للأساطير هو أن نكتشف فيها رموزاً للأشياء، والأساطير ليست سوى أفكار متنكرة في شكل شعري.

الأسطورة والتراث

عند التمعن بدراسات الادب العربي نجد ان الأسطورة ترتبط بالتراث ارتباطا وثيقا، ومن هنا جاءت دراستنا للأساطير باعتبارها جزءا لا يتجزأ من تراثنا الإنساني على الرغم من البعد الزمني ما بين تراث البشرية وعالم اليوم، لأن الموروث الأسطوري يبقى مؤثرا بالرغم من الهوة الزمنية ما بين العصرين. لذلك لا بد من دراسة الأسطورة على اعتبارها من أهم أعمدة التراث ولأنها تحمل مشاعر إنسانية جياشة وأحاسيس وتصورات ومواقف تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود وعلى محاولاته الفكرية الأولى والتي تتضمن خلاصة تجارية وماضيه وكيف كان يستنتج من هذه التجارب منطقة ومفاهيمه وتعامله مع واقعه، ووفق مضامين أخلاقية تمت صياغتها في قوالب أدبية ذات خصوصية توارثتها الأجيال وعدلت فيها وأضافت إليها، مما جعل الأسطورة محل عمل دائب لا يتوقف فهي حفرية حية[٣٢]، لذلك تظل الأسطورة تسجيلا للوعي الإنساني واللاوعي في آن معا؛ فالأسطورة وأن اشتملت على حقائق يمكن أن تتكشف بوضوح إذا استطعنا تفسيرها ضمن إطارها التاريخي فكثيرا ما يلتقي منطق الأسطورة ومنطق العلم فيؤديان غرضا واحدا هو جعل الكون مفهوما وطريقا في آن واحد، وهذا ما نلاحظه حين تتناول الأسطورة العناصر المادية المعروفة، وهي التراب والهواء والنار والماء وهي العناصر التي يتألف منها الكون[٣٣]،وقد أنبأتنا الأساطير ان الفكر اليوناني القديم كان سابقا على الفلسفة ،وكان يتميز بالطابع الصوري التجريدي فالفكر اليوناني القديم مبدأ كليا لتفسير الأشياء، وهذا المبدأ كان بمنزلة المقدمة التي تستولد، فالآلهة كانت تعرف حقيقة الأشياء، وهي التي وهي التي كانت تخاطب الذكاء الإنساني وتعلن عن الغيب وتشدد بالنظم والقوانين التي تحكم مجرى الواقع[٣٤].

ولما كانت الأسطورة مادة ديناميكية حية اتجه كثير من الشعراء لاستلهام الأساطير في قصائدهم يوظفونها توظيفا فنيا رائعا. والشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد وموهبتهم الأساسية هي القدرة على التكثيف فلا يستطيعان أن يتأملا شيئا دون أن يمنحاه حياة داخلية وشكلا إنسانيا؛ لذلك يلتفت الشاعر الحديث إلى عصر الأولوهية كما يلتفت إلى فردوس مفقود ، وهنا تكمن نقطة التقاء ما بين الشاعر وصانع الأسطورة والعودة إلى التراث الأسطوري عند الشاعر المعاصر. وعليه فإنا اهتمامنا بالتراث القديم – الأسطورة وبدراستها يكون الطريق الصحيح للوصول إلى جذوز كثير من الاعتقادات التي توجه فكر وسلوك إنسان اليوم، وربما يصل الأمر إلى تعديل السلوك دون الاصطدام مع عنصري الدين والسياسة[٣٥].

إن عالم البشرية اليوم عالم ملى بالتناقض والتنافر؛ فقد ازدادت العلاقات سوءا وتدهورت العلاقات الحميمية والأسرية بين الناس، حتى بين الأخ وأخيه؛ فلم تعد العلاقة تنبض بالوجدان ،والمحبة وخيم القلق في عالم متناقض يشكو الأرق. ولما كان الأدب صورة للمجتمع والمرآة التي ينظر من خلالها الأديب، فقد حاول أن يبحث عن العالم الذي يمكنه أن يعيده إلى شيء من طبيعته الأولى يلائم فيه تجسيد لبدائي لتأمله، وطموح الإنسان الحديث في إعادة خلق عالمه، ولم يجد غير العودة إلى الوعاء الأول إلى الأسطورة وطقوسها وقد عاد الشاعر الحديث للأسطورة يستلهمها ويحور في مضامينها وفقا لرؤيته المعاصرة وفي تصويره للواقع الذي يعيشه بالرغم من بعد المسافة الزمنية والمكانية بين الأديب المعاصر ومراحل تكوين الأسطورة ولأن الموقف الأسطوري في صحيحه موقف شعري لأنه موقف صراع دائم بين الإنسان وبين الوجود[٣٦]، فالشاعر وصانع الأسطورة كلاهما يرى الواقع ويصوره ولا يجد ما يلتجيء إليه إلا الأسطورة باعتبارها أعلى مراحل الرمز ولأنها تحمل طاقة كبيرة ذات اشعاع موزع ويعد السياب نفسه من أوائل الشعراء الذين استخدموا الأسطورة في الشعر الحديث إذ يقول لعلي أول شاعر عربي معاصر بدأ باستخدام الأساطير ليتخذ منها رموزا، وقد جاء استخدام السياب للأساطير لما فيها من غنى ومدلول يجسد حالة الانكسارات والازمات الحضارية وما يحتاجه الضمير الإنساني الحي بعد أن تدهورت العلاقات الأخوية فلم تعد العلاقات الأخوية كما كانت في الماضي؛ بل أصابها الضعف والمرض[٣٧].

ويفسر السياب لجوئه إلى الأسطورة بقوله: لم تكن الحاجة إلى الرمز إلى الأسطورة أمس مما هي عليه اليوم، فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح وراحت الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها أن يحولها إلى جزء من نفسه تتحطم واحد فواحدا، أو تنسحب إلى هامش الحياة إذن فإن التعبير المباشر عن اللاشعور لن يكون شعرا فماذا يفعل الشاعر إذن عاد إلى الأساطير التي ما تزال تحتفظ بحرارتها عاد إليها ليستعملها رموزا، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد كما أنه راح من جهة أخرى يخلق الأساطير وإن كانت قليلة وهكذا راح السياب ينهل من نبع أسطوري لا ينضب، يستلهم واقعه ويصور آماله وأغنى الشعر بالأسطورة لا من التراث الأسطوري وقد حشد السياب كما هائلا لا ليلتقط منها أحداثا برمتها بل ليعيد النظرة إلى التراث مع الواقع الإنساني للأمة ورصيدها الحضاري من خلال التراث الأسطوري[٣٨].

وقد تعددت المنابع الأسطورية في شعر السياب منها ما جاء من ثقافات أجنبية، ومؤثرات ميثيولوجية قديمة لكتب سماوية، و أساليب تضمنت دلالات إنسانية واجتماعية، ويرى الدكتور

عبدالرضا علي أن الأصول الأسطورية في شعر السياب تعود إلى: الغصن الذهبي، وطقوس النماء، وأساطير العالم القديم، والكتاب المقدس، والتجربة الإليوتية، وتجربة الستويلية، والحكايات الشعبية[٣٩].

تعد الاشارات الأسطورية من أهم ملامح الشعر الحر، خاصة في شعر السياب، فقد حاول أن يجعل من الأسطورة والإشارات والرموز بنية فنية في بناء قصائده، وقد وقف السياب على مشارف الرمز الفني وجعل منها صورا شعرية قادرة على تكثيف مجموعة من الدلالات الشعورية والفكرية والصور الشعرية، وقد أدى الخلق الفني في بناء القصائد الموظفة للأسطورة وظائف جمالية متعددة، فالحركة والانفعال من العناصر المميزة في عملية الخلق الفني عند السياب وخاصة في القصائد الموحية مثل شباك وفيقة، والمعبد الغريق، وإرم ذات العماد وقد أبدع السياب في عملية الخلق الفني في هذه القصائد وذلك من خلال طرحه للانموذج الفني الذي ظل في مخيلته زمنا طويلا، ولعل ذلك نتج عن تقلبيده المقصود في عمليتي التعبير والتوصيل لأنه كلما كان الموقف الجمالي مبنيا على الموضوع الذي يطرحه الشاعر فإن ذلك سينتج للمتلقي متعة الاستغراق غير المقصود للتفكير غير الواعي الذي يمثل بدوره التجربة الفنية)، ويتمثل ذلك في البناء الشكلي للقصيدة، ومن اهم التوظيفات في شعر السياب:

١-جيكور

جيكور قرية في لواء ابي الخصيب ويمر منها نهر بويب وقد تكررت صورة جيكور في كثير من قصائد الشاعر ومن هنا يأخذ اسم جيكور لفتة فنية حول رمزية هذا المكان، فتكرار الشيء وبصور مكثفة يخرجه من اطار المحسوس والملموس إلى طاقة روحية فياضة، فمثلا قصيدة أفياء جيكور حيث تظهر (جيكور) بأنها قرية الشاعر بالمعنى الظاهري العام، وإذا ما دققنا النظر في المعنى الباطني وجدناها تمثل أم الشاعر أي أم حقيقية، وقد مزج السياب بين المعنيين من الصفات، إذ خلع صفات إنسانية صفات أمه على بويب وهذا التنازع بالصفات يعطي بعدا عميقا لأجواء النص ولرمزية جيكور الذي أصبح فياضا بالطاقة الروحية:

جيكور لمي عظامي و انفضي كفني

من طينه و اغسلي بالجدول الجاري

قلي الذي كان شباكا على النار

لولاك يا وطني

لولاك يا جنتي الخضراء يا داري

لم تلق أوتاري

ريحا فتنقل آهاتي و أشعاري

أفياء جيكور نبع سال في بالي

ابل منها صدى روحي

في ظلها اشتهي اللقيا و أحلم بالأسفار والريح

أفياء جيكور أهواها(٤٠)

يضفي السياب على جيكور صفات إنسانية، إذ يطلب من جيكور أن تلم عظامه وتنفض كفنه، وتغسله بالجدول الجاري، ولم يقتصر على هذا الحد؛ بل يربط بين صورة جيكور / الأم / جيكور الأرض / القرية، إذ كيف تتسرح الأفياء من القبر، إن الذي أنسرح من القبر هو طيف أمه الذي يرمز إليه بالأفياء، فالأم أصبحت بعدها موتها جزءا من جيكور (الأرض) التي يرعاها وترعاه، كما يرعى أمه وترعاه لو كانت حية، فلو كانت حية لطلب منها أن تمس جبينه الملتهب بيدها وترتشف الوجع الساخن من جبينه، فتعيد إليه الحنان والشعور بالطمأنينة من خلال لمسه الجبينه الملتهب، ويطلب منها أيضا أن تمد إليه ظلال النخيل وسعفه وحفيف السنابل ، لذا أصبحت جيكور تتجرد من الصورة الحسية المادية إلى صورة تشع بالايحاء، وتكثف الرمز الشعري بعد أن كانت مجرد صورة محسوسة أصبحت تفيض بالطاقة الروحية وتنحو الاستقلال الرمزي بأن تكون مصدرا للاشعاع والإيماء من داخلها لا من خارجها.

٢-بويب

بويب نهر صغير يمر في قرية الشاعر (جيكور) وقد استخدم السياب صورة بويب من رمز مادي محسوس إلى طاقة روحية فاعلة حتى غذا هذا النهر رمزا أسطوريا يحفل به شعر السياب، ففي قصيدة (مرحى غيلان يرتقي السياب بـ(بويب) من صورة مادية حسية إلى صورة رمزية تنبض بالاشعاعات الايحائية من داخله لا من خارجه، ويضفي عليه من الصفات المعنوية، وقد أصبح السياب يخاطب نفسه من خلاله:

أنا في قرار بويب أرقد في فراش من رماله

من طينه المعطور والدم من عروقي في زلاله

ينثال كي يهب الحياة لكل أعراق النخيل

أنا بعل أخطر في الجليل

على المياه أنت في الورقات روحي و الثمار

و الماء يهمس بالخرير يصل حولي بالمحار

و أنا بويب أذوب في فرحي و أرقد في قراري (٤١)

إن ابن الشاعر غيلان يرقد في قرار بويب وفراشه من رماله، ودمه من زلاله ولو اكتفى السياب بهذا الوصف والصور عن بويب لما وصلت صورة بويب إلى الاستقلال الرمزي؛بل على العكس من ذلك يتبع هذا المقطع، بقوله: (أنا بعل : أخطر في الجليل) فهذا التشبيه الذي أدخله السياب وما ينبض به من إشعاعات إيحائية مشتركة بينه وبين ابنه غيلان وبين بويب جعل هذا الرمز ينحو نحو الاستقلال الرمزي.

وهكذا استطاع السياب التخلص من العلائق المادية، وقد تحولت صورة بويب من صورة حسية إلى صورة معنوية وبعد أن كان مجرد وسيلة للمخاطبة أصبح مشاركا فيما يحدث، وذلك عن طريق بلورة الأفكار والصور الشعرية التي جعلت بويب يشع من داخله صورا حية؛ فهو يهب الحياة لكل أعراق النخيل (ينثال كي يهب الحياة لك أعراق النخيل)، وبهذا استطاع السياب تجريد صورة بويب المادية المحسوسة والانتقال بها إلى صورة تشع بالايحاء والنبض الحي واختفاء الطبقات المعنوية مما جعل صورة بويب تصل إلى صورة رمزية مكثفة، وفي قصيدة النهر والموت أصبح (بويب) يشع صوره ومعانية و ودلالاته وقيمه المعنوية من ذاته دون أن يكون هناك مشاركة خارجية:

بويب يا بويب
فيدلهم في دمي حنين
إليك يا بويب
يا نهري الحزين كالمطر
أود لو عدوت في الظلام
اشد قبضتي تحملان شوق عام
في كل إصبع كأني أحمل النذور[٤٢]

ونلاحظ ان المناخ الأسطوري المتولد في هذا المقطع من طبيعة العلاقة بين الإنسان والنهر، فالانتظار السنوي وتكرار الأفعال في موعد معين يعطي الفعل دلالة طقوسية، والنذور وما تتضمنه من تكرار رمزي للتبادل بين الإنسان والآلهة ومن قدرته على الايحاء بمعنى الوعد والانتظار وتقديم النذور إلى النهر سيكشف عن وجه إله الخصب ومن هذه المعطيات نضع بويب ضمن منظومة أسطورية سيابية. وقد تكررت هذه الدائرة الأسطورية في اطار التمني أو الحلم من خلال (أود لو .....) التي تكررت ست مرات في القصيدة، ويدل على ذلك أنها تنطلق من الحلم الأسطوري أو اللاشعور الجمعي[٤٣]:

وانت يا بويب

اود لو عرفت فيك ألقط المحار

أشيد منه الدار

يضيء فيها خضرة المياه و الشجر

ما تنضح النجوم و القمر

و أغتدي فيك مع الجزر إلى البحر

فالموت عالم غريب يفتن الصغار

و بابه الخفي كان فيك يا بويب(٤٤)

وهذا ما يؤكد صفة الحياة للنهر لكن دون أن يسلب صفة الموت، لذلك فإن بويب يحمل وجهي الحياة والموت والانبثاق من النهر حياة ويدعم ذلك الأساطير التي تذكر ولادة بعض الشخصيات من الماء.

إن العلاقة التي تربط بويب بالأشياء السابقة ليست علاقة مشابهة؛ بل علاقة داخلية استطاعت أن توحد ما بين بويب وما يوحي به ويومئ إليه، وقد امتدت هذه العلاقة عبر النص كاملا فأصبح بويب هو المحور الرئيسي في القصيدة، وقد استطاع السياب أن يحمله دلالات تتدرج من المستوى الطبيعي الواقعي إلى المستوى الكوني الميتافيزيقي حيث أصبح مرآة ومعبودا، ثم إلى المستوى الذاتي الصميمي حيث نراه رحما والعودة إليه تنفي عودة على الأصل لهذا فإن بويب عبارة عن مركز اشعاعات وايحاءات تنبع من داخل القصيدة(٤٥).

وقد كرر السياب صورة بويب في قصائده وبأساليب متعددة وهذا التكرار كان مدعاة لأن يصبح بويب جزءا من منظومة رمزية أو أسطورية ،والمتأمل لشعر السياب يجد تكرارا لـ (بويب) بأساليب مختلفة متعددة الدلالات، لذا يمكن القول إن بويب النهر العادي الذي يجري في قرية الشاعر قد أصبح يفيض بالمعاني والدلالات المختلفة أي أصبح النهر أسطورة كما أراده السياب.

٣-المطر:

لقد تعامل السياب مع لفظة المطر تعاملا رمزيا حيث ارتفع بمدلول اللفظة من المدلول الطبيعي بعتبارها رمزا للخصب والنماء والحياة إلى لفظة سحرية دالة تمتد عبر نسيج قصائده، وتأتي متعددة الدلالات حسب رؤية الشاعر وما يرمز إليه وما يحتاجه النص الشعري من دلالات يقول الدكتور عزالدين اسماعيل: إن الشاعر المعاصر في تعاملاته مع عناصر الطبيعة، إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر مثلا من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز؛ لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظ بمدلولات شعرية خاصة وجديدة(٤٦).

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٣

وقد جاءت لفظة المطر في شعر السياب متعددة الدلالات فتراها تأتي على غرار الفكرة السائدة قديما من أنه أصل الحياة، وتارة أخرى تحمل معاني الثورة على القهر الاجتماعي والسياسي ويأتي أيضا صنوا للدم وأحيانا رمزا للبعث والحياة وقد يحمل النقيضين معا الموت والحياة، وهنا يكمن الابداع الفني في تشكيل الرمز مما جعل من هذه اللفظة طاقة حيوية تفيض بالمعنى والدلالات وهذا ما يجعلها ضمن منظومة أسطورية سيابية، وتفيض أنشودة المطر بالمعاني الرمزية للمطر فبعد أن كان مطرا سماويا تفرح له العصافير وتبشر بالمستقبل يتحول إلى ضجر وسخط وثورة على الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان العراق يعاني منها زمن الحكم الملكي، ثم يتحول بعد ذلك إلى يقظة وانطلاق لصوت الثوار ضد الجراد والغربان، وينتشر صورة الثورة في كل اتجاه وينزل المطر، وبعد ذلك يكون (المطر) استغاثة واستسقاءً للنصر من جديد ضد ما يسميهم بالأفاعي[٤٧].

وعندما يحمل السياب مدلول المطر معنى الثورة على القهر الاجتماعي والسياسي في ظل أوضاع سيئة كانت تعيشها الجماهير في العراق وما لاقاه الفلاحون الكادحون من ضير وجوع فإنه يقول:

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال
حتى إذا ما فض عنها ختمها الرّجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الوادِ من أثر [٤٨]

فيبدأ أمل جديد يخيم على الفلاحين الكادحين بأن دماء المستغلين ستكون ابتساما آتيا لأن العراق بدأ يذخر الرعود ويخزن البروق في سهوله وجباله ولم يبق إلا أن يفض الرجال أختام هذه الرياح، وهذه الرعود المخزنة ترمز إلى الثورة القادمة التي ستحرر العراق من الظلم والاستبداد، وهنا يتقدم التعبير الرمزي مستمدا من العناصر المطرية المذكورة مرتكزاته الأساسية في التكوين كما في المطر يقدر ما يحيل عليها وتأتي الرياح العاتية المدمرة كناية عن التفجير الهائل للمطر بعد طول احتباس في الرعود المذخورة والبروق المخزنة؛ لأنها كذلك يكون الوادي مجراها ومجال فعلها ، وقد بدأت ملامح الثورة على وجوة الناس وقد ربط السياب التغيير والثورة التي ستأتي بالمطر[٤٩]:

أكاد أسمع النخيل يشرب المطر
وأسمع القرى تئن والمهاجرين

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع

عواصف الخليج، والرعود، منشدين:

مطر...

مطر...

مطر...[٥٠]

يربط السياب بين النخيل وشرب المطر، وذلك لأن اشجار النخيل تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه لكي ترتوي وهذا إيحاء واشارة إلى الشعب العراقي المتعطش للثورة، وهنا يكون رمز المطر الأمل والحلم والثورة، وقد بدأت ملامح الثورة تظهر الفقر والمعاناة، ومع ذلك فالقرى تئن وتتألم معلنة الثورة والغضب الملتهب، والمهاجرون يتركون قراهم بسبب يرددون إيقاعا واحدا يوحدهم في حلم واحد (مطر مطر مطر) يأملون الخلاص من القهر والظلم، وهنا يحمل المطر معنى إيجابيا لأنه يحمل الثورة والغضب، ويوحد الهم والخلاص من القهر بعد أن جرده الشاعر من مدلولة الطبيعي.

الخلاصة:

١- يعتبر التراث وليد الحضارة الذي يصون ثقافة الشعوب وعلومها وأثارها على مر الأزمان والعصور ، فهو ثروة قيمة لا تنضب فهي دائمة التنقال من جيل إلى أخر ومن زمن إلى لأخر.

٢- يعتبر التراث المحرك الأساسي والمادة الخادمة التي استطاع بها الشاعر ان يوظفها في قصائده ويجعله يتفاعل مع تجربته ، فالسياب من خلال دواوينه الشعرية نلاحظ ميله الشديد لتوظيف التراث واستلهام شخصياته وأبعاده الرمزية لعل في ذلك التوظيف الإستشهاد وتقديم البراهين .

٣- استوحى السياب مصادر عديدة وتشبع من الموروث وارتوى من ينابيعه العذبة واستقى شخصيات التي تحمل كل منها رمزا ولكل منها ميزة منفردة .

٤- لم يوظف السياب التراث عبثا ولم يوظفه للإلتقاء التعابير والكلمات في ثنايا القصيدة بل لغاية أن يمنح للقصيدة سمة السمو والارتقاء والأخذ بعين الإعتبار من شخصيات تراثية لما لها خيط واصل للحالة الشعورية وتناسب أحداثها مع أحداث الشخصية الشاعرية .

٥- يعد السياب من الشعراء المعاصرين الذين استطاعوا أن يرفعوا لواء التجديد على القصيدة العربية إذ أصبحت اللغة الشعرية لغة إيحاء الذي يضفي سمة تعدد الدلالات إذ يتسنى على المتلقي الفطن إيجاد المعنى الذي يصبو إليه الشاعر لتحقيقه.

الهوامش والمصادر:

١ –الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الحلي للنشر و التوزيع، القاهرة ، ص١٤٧٧.
٢– القرآن الكريم.
٣– حسين حنفي ،التـــراث والتجديـــد ، ط٥، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ٢٠٠٢ ، ص ١٣.
٤–سيد علي إسماعيل، أثر التـــراث العربي في المصرح المعاصر، د– ط، قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٣.
٥– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابس،١٩٧٨، ص٤٢.
٦– بدر شاكر السياب، الاعمال الشعرية الكاملة،ص٢٤٠.
٧– علي عبدالرضا ،الأسطورة في شعر السياب ،وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨،ص١٢٧.
٨–بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٨٦.
٩– ينظر: علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي العاصر،ص٢٩٨.
١٠ السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٨٣.
١١– السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٨٦.
١٢– سورة الأنبياء، الآية ٨٣.
١٣– عيفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٩،ص٢٠٨.
١٤– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٥٠.
١٥– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٥٠.
١٦– بدر شاكرالسياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٥٠.
١٧– ينظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ٩٩.
١٨– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٠٧.
١٩– ينظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ٩٩.
٢٠– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢١٦.
٢١– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢١٧–٢١٨.
٢٢–ينظر: علي عبدالرضا، الأسطورة في شعر السياب ،ص٧٩.
٢٣– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٩.
٢٤– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٩.
٢٥– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٩.
٢٦– علي عشري زايد استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ٤٣.
٢٧– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٢٩.
٢٨– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة،ص٢٥٢.
٢٩– بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٧٢.

٣٠- ينظر: خالد الكركي الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ٢٩.

٣١- بدر شاكر السياب ،الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠٥.

٣٢- ينظر:سيد القمني، الأسطورة والتراث، سنا للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص١٩.

٣٣- ينظر: سعيد عبد العزيز، الأسطورة والدراما المطبعة الفنية الحديثة، دون طبعة ،١٩٩٦، ص١٢.

٣٤- ينظر: سعيد عبد العزيز، الأسطورة والدراما ،ص٨.

٣٥- ينظر: سعيد عبد العزيز، الأسطورة والدراما ،ص٨.

٣٦- أنس داود الأسطورة في الشعر العربي الحديث،مكتبة عين الشمس،ط-ت، ص ٤١.

٣٧- علي عبدالرضا، الأسطورة في شعر السياب، ٢٤.

٣٨- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ناجي علوش، ص ٢٢.

٣٩- علي عبدالرضا، الأسطورة في شعر السياب ،ص٤٩-٨١.

٤٠- بدر شاكر السياب الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٢٠.

٤١- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ،ص٢٥٩.

٤٢- بدر شاكر السياب الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٤٤.

٤٣- خالدة سعيد، حركية الابداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، ط١، ١٩٧٩، بيروت، ص ١٥٨.

٤٤- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ،ص٢٤٤.

٤٥- ينظر، خالدة سعيد، حركية الابداع سابق، ص١٨٣.

٤٦- عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص٢١٩.

٤٧- علي عبدالرضا ،الأسطورة في شعر السياب، ص ١٥٣-١٥٤.

٤٨- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة ،ص٢٥٥.

٤٩- ينظر: سامي سويدان ،بدر شاكر السياب وريادة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار الآداب بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٢١.

٥٠- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة،ص٢٥٥.

المصادر:

١ -الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الحلي للنشر و التوزيع، القاهرة.

٣- حسين حنفي ،التراث والتجديد ، ط٥، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ٢٠٠٢ .

٤-سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المصرح المعاصر، د- ط، قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابس،١٩٧٨.

٦- علي عبدالرضا ،الأسطورة في شعر السياب ،وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨،ص١٢٧.

٧- عيفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٩.

٨- ينظر: خالد الكركي الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
٩- ينظر :سيد القمني، الأسطورة والتراث، سنا للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
١٠- ينظر: سعيد عبد العزيز، الأسطورة والدراما المطبعة الفنية الحديثة، دون طبعة ،١٩٩٦.
١١- أنس داود الأسطورة في الشعر العربي الحديث،مكتبة عين الشمس،ط-ت.
١٢- علي عبدالرضا، الأسطورة في شعر السياب.
١٣- خالدة سعيد، حركية الابداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، ط١، ١٩٧٩، بيروت.
١٤- بدر شاكر السياب، الأعمال الشعرية الكاملة.
١٥- ينظر: سامي سويدان ،بدر شاكر السياب وريادة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار الآداب بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

المصادر المحولة الى اللغة الانكليزية

1- Al-Fayrouz Abadi, Al-Muheet Dictionary, Al-Hilli Foundation for Publishing and Distribution, Cairo.
3- Hussein Hanafi, Heritage and Renewal, 5th ed., University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 2002.
4- Sayed Ali Ismail, The Impact of Arab Heritage on Contemporary Theater, d-ed., Quba for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2000.
5- Ali Ashri Zayed, Invocation of Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry, General Company for Publishing and Distribution, Tripoli, 1978.
6- Ali Abdul-Ridha, The Myth in Al-Sayyab's Poetry, Ministry of Culture and Arts, Baghdad, 1978, p. 127.
7- Aifif Abdul Fattah Tabbara, With the Prophets in the Holy Quran, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1989.
8- See: Khaled Al-Karaki, Heritage Symbols in Modern Arabic Poetry, Dar Al-Jeel, First Edition, 1989.
9- See: Sayed Al-Qimni, Myth and Heritage, Sana Publishing, First Edition, 1992.
10- See: Saeed Abdul Aziz, Myth and Drama, Modern Artistic Press, no edition, 1996.
11- Anas Dawood, Myth in Modern Arabic Poetry, Ain Shams Library, 1st ed.
12- Ali Abdul Redha, Myth in Al-Sayyab's Poetry.
13- Khalida Saeed, The Dynamics of Creativity, Studies in Modern Arabic Literature, 1st ed., 1979, Beirut.
14- Badr Shakir Al-Sayyab, Complete Poetic Works.
15- See: Sami Suwaidan, Badr Shakir al-Sayyab and the Pioneering of Renewal in Modern Arabic Poetry, Dar al-Adab, Beirut, 1st ed., 2002.